المحاضرة الرابعة

سمات الشعر المعاصر.

تيمات الشعر المعاصر :

إن الحديث عن قضايا الشعر المعاصر ليس حديثا عن مضامين أو أغراض. فقد حطم الشعر المعاصر نظرية الأغراض الشعرية كالمدح والغزل والرثاء ... إلخ وأصبحت القصيدة في مضمونها تجربة شعرية أو رؤية فكرية. والتجربة الشعرية أو الرؤية الفكرية ليست مضمونا أو معنى وإنما هي رؤية متكاملة تجتمع فيها خيوط الشكل أو المضمون في وحدة لتعبر عن رؤيا جمالية وفلسفية وفكرية تنطلق من الواقع. وتجربة الشاعر لا تنحصر في الذات فقط وإنما تسعى لأن تكون تجربة إنسانية تعبر عن الإنسان في كل مكان وزمان. ولهذا نقول إن تجربة الشعر الحديث تمتاز بجدلية الخاص والعام فما هو تجربة خاصة يصبح تجربة إنسانية عامة.

إذ ينطلق الشاعر الحديث من رؤيا فكرية أساسها أن الكون والعالم يخضع لجدلية الموت والحياة. وأن الموت يعني بعثا من جديد. وإذا كانت الحضارة العربية تعيش مرحلة الموت فإن البعث والحياة لا بد وأن تبرز من جديد فإذا كان الموت هو واقع الحاضر فإن الحياة هي رؤيا المستقبل هكذا إذن يؤمن الشاعر الحديث بالتحول والاستمرار. هذه التجربة التي عبر عنها أدونيس في ديوانه "كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل " فهو يحس بالحياة قائلا :

إنني لحظة المعجزات

لحظة الموت والحياة

وحضارتنا في رؤيته حضارة الموت تنتظر الولادة من جديد

يقول :

أنا الدم النافر من حضارة ذبيحة

وأرضنا في الثلج والحرارة أرملة تجر نهديها

كخرقة، كأنها لم تعرف البكارة ولم تذق نحولة الزمان.

وقد احتلت قضية الموت والحياة أو البعث من جديد مكانا بارزا في شعر بدر شاكر السياب، فقد آمن السياب بالبعث العربي لكن لابد من التضحية، والشاعر مطلوب لأن يضحي لكي تولد حضارة جديدة، يقول في قصيدته " النهر والموت ".

أود لو غرقت في دمي إلى القرار

لأحمل العبء مع البشر

وأبعث الحياة، إن موتي انتصار

وقد اتخذ السياب عدة رموز أسطورية للتعبير عن جدلية الموت والحياة كالمسيح و عشتار آلهة الخصب فالمسيح رمز للتضحية والبعث من جديد أو بمعنى آخر رمز لبعث الحضارة العربية يقول في " المسيح بعد الصلب ".

كنت بدءا وفي البدء كان الفقير

مت، كي يؤكل الخبز باسمي، لكي يزرعوني مع الموسم

كم حياة سأحيا : ففي كل حفرة

صرت مستقبلا، صرت بذرة

صرت جيلا من الناس : في كل قلب دمي قطرة منه أو بعض قطرة

أما عبد الوهاب البياتي فقد عبر من خلال تجربة الموت والحياة على قدرة في اكتشاف الواقع وفهمه، والحياة والبعث تعني عنده الثورة والتغيير الذري عن طريق النضال يقول :

لا بد أن تنهار

روما، وإن يبعث من هذا الرماد نار

لابد أن يولد من هذا الجنين الميت الثوار

ظاهرة الاغتراب في الشعر المعاصر :

كان لعامل التراث و ما ابتدعته المجتمعات العربية في حركة صيرورتها التاريخية، منذ العصر الجاهلي، حتى بداية مرحلة الاستعمار في مطلع القرن الماضي، أو قبله بقليل، من فكر وثقافة وقيم فنية وأخلاقية، ما تزال محفوظة لنا بصورة من الصور. ونحن نلاحظ قبل كل شيء أن هذا الذي نسميه " التراث " ليس كلا موحدا متجانسا ومنسجما، وإنما هو تسمية إطلاقية ليس فيها أي تحديد موضوعي، لتيارات كثيرة مختلفة ومتناقضة، باختلاف القوى الإجتماعية التي أنتجتها، وتناقضها، عبر أكثر من اثني عشر قرنا من الزمان.

" فالتراث " إذن تسمية تعميمية لا تخلو من تعمية، ينضوي تحتها ما هو مشرق وما هو مظلم في تاريخنا، وما هو بين بين.

وقد برز الإهتمام الشديد بالتراث منذ اصطدمنا بأوربا الإستعمارية، كنوع من رد الفعل على تحديها الحضاري. وظهرت تيارات مختلفة في النظر إليه أهمها التيار السلفي، والتيار التحديدي، والتيار الجدلي التاريخي [1]. وهذا التيار الأخير أهمها وأحدثها، وقد أخذ أحيانا طابعا إنتقائيا، وأحيانا صورة الرفض. فمفكر مثل روجيه غارودي ينصح العرب في محاضرة مشهورة ألقاها في القاهرة أن يبنوا اشتراكيتهم على أساس من عقلانية ابن رشد، ونظرية ابن خلدون في الإجتماع، وتجربة القرامطة في الإشتراكية !! ومثل هذه النصيحة تتجاوز النظرة الموضوعية إلى حركة التاريخ، وتحكّم فيه النزعة الذاتية، فتلغي عقلانية معرفتنا له وتوقعها في الإنتقائية.

ولكن مفكرا عربيا، هو عبد الله العروي، يرى أننا (نرتكب خطأ فادحا عندما نتخذ أفكار إخوان الصفا وأعمال ابن الراوندي، أو أبي بكر الرازي كأمثلة على وجود فكر متحرر عندنا. لأننا بذلك نقطع حبل التطور التاريخي ونتبع طريق الفكر الإنتقائي. علاقتنا الحقيقية ليست مع الفلاسفة المسلمين أو المعتزلة، أو دعاة الباطنية، لأن هؤلاء كلهم أصبحوا تقريبا أجانب في ثقافتنا، علاقتنا مع كلام السنوسي وفقه الخليل، ونحو ابن مالك، ويجب أن ننطلق ذهنيا ونقديا من هذا المنطلق لنحلل أسباب تغلغله واستمراره في الفكر العربي ونكشف عن إمكانية تجاوزه) [2]. وهو يرى في مكان آخر أن الفكر الفقهي تغلغل فينا (حتى أصبحنا لا نعتد بعدم التطبيق وإن دام قرونا وقرونا. معنى ذلك أننا منذ البداية نجعل التاريخ بين قوسين ونعتبر عمر بن الخطاب معاصرا لنا تمام المعاصرة، النتيجة المنطقية

---

[1] د.طيب تيزيني : التراث العربي النظري، وآفاق الثورة الثقافية في المرحلة العربية المعاصرة –الموقف الأدبي عدد 7-1974، ص 6 وما بعدها.

[2] العرب والفكر التاريخي، ص 143 – هامش 22.

هي أنه لا يمكن ربط أي حوار في مثل هذه الأحوال مع الغير، ولا حتى مع ذلك القسم من ذواتنا الذي يعيش في القرن العشرين)[3].

وبين الإنتقائية التي يحضنا عليها روجيه غارودي، وبين القطيعة مع التراث –إلا في جوانبه السلبية، وهي انتقائية في إتجاه آخر– كما يريد العروي، يقف المنهج المادي الديالكتيكي الصحيح المتمثل في (إعادة إمتلاك التراث على أساس من أدواتنا المعرفية التقدمية المعاصرة ... إعادة التراث إلينا بصورة جديدة تختلف عن صورته التي تقدمها الطريقة السلفية الرجعية) وهذه الصورة (هي الصورة المعبرة عن الإنسان العربي في تاريخيته الشاملة : ماضيا وحاضرا ومستقبلا، أي عن موقفه الفاعل والمنفعل في حركة التاريخ ... في هذه الصورة نرى المجتمع العربي الإسلامي للعصر الوسيط في حركته الدينامية، حركة التحول والصيرورة التي تنبع من قوى الإنسان العربي–الإسلامي ذاته، لا من قوى غيبية تحكمه بجبرية صارمة مطلقة ... تنبع هذه الحركة من فعل القوى الإجتماعية المنتجة كل الخيرات المادية والروحية لمجتمعها، أي من الطاقات اليدوية والعقلية لهذه القوى المنتجة، ومن الأشكال التاريخية المعينة للصراع بين هذه القوى ذاتها وبين القوى الإجتماعية الأخرى " الإقطاعية –التجارية– الثيوقراطية " المسيطرة إقتصاديا وسياسيا والتي كانت تحاول دائما فرض سيطرتها كذلك ثقافيا وإيديولوجيا ... إن هذه الصورة الواقعية الصحيحة للتراث المستمدة من أصوله الإجتماعية الحقيقية، هي –في الوقت نفسه– صورة ينعكس فيها الحاضر كذلك بوجه ما، لأنها تنطلق أولا من منطق

---

[3] العرب والفكر التاريخي، ص 131– هامش 15.

التحليل العلمي المعاصر، وتنطلق ثانيا من المواقف الأيديولوجية الثورية داخل حركة التحرر الوطني العربية الحاضرة، ومن مقتضيات تطورها وصيرورتها مرحليا، وإستراتيجيا، ذلك كله يعني في الإستنتاج الأخير، أن عملية استحضار التراث على هذا الوجه تؤدي مهمة مزدوجة، هي من ناحية أولى : تكشف عن جوهر الظاهرات التراثية في موقعه التاريخي الحقيقي. وتكشف –من ناحية ثانية– عن جوهر العلاقة الموضوعية بين حركة حاضرنا وحركية التراث وفاعليته في موقعه التاريخي ذاك ... إن هذا الكشف المزدوج يضيف إلى الحركة الثورية العربية في مرحلتها الحاضرة، أبعادا تاريخية تضفي على أبعادها المرحلية الراهنة أصالتها العريقة التي هي بمعناها الحقيقي؛ وحدة الحركة التاريخية بين الحاضر والماضي) [4] ومع أن غايتنا من هذه الدراسة هي مقارنة ظروف نشوء القصيدة القديمة، وظروف استمرارها، بظروف نشوء القصيدة الحديثة وتوضيح المبرر التاريخي لكل منهما، فإن إيضاح عوامل الصراع المعاصر وتفصيلاته في مختلف المجالات الفكرية والأيديولوجية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، يشكل مدخلا لابد منه لإضاءة أوضاع القصيدة الحديثة، وبالتالي لانعكاس جملة الوضع التاريخي للإنسان العربي على بنيتها الشكلية والفكرية.

وإذا كنا قد خصصنا لهذا فصلا مستقلا فإنه لابد من الإلمام قبل ذلك، بخطوط التطور الكبرى منذ مجيء الإسلام، لنتبين إنعكاس ذلك على شخصية العربي المعاصر وتأثيراته فيها، ولنرى المفارقة الحادة في تطلع هذا العربي المعاصر إلى التراث ومحاولته الإنتماء إلى العصر الراهن.

---

[4] حسين مروة : السمات الثورية في التراث الأدبي العربي – مجلة الآداب، ص 71 عدد أيار 1975.

إن العربي المعاصر، موجود حقا في اللحظة الزمنية الراهنة، ولكنه يستعمل أساسا، بأشكال مختلفة، إنجازات الماضي، وهذا الإنسان في جانبيه العقلي والروحي هو حصيلة حضارية لمركب ديالكتيكي من الجهد الحضاري العام للجماعة عبر مراحل تطورها ومن خصائصه الذاتية وقدرته على الإستيعاب.

إنه لصحيح أن معطيات الماضي تتراكم كميا في مراحل معينة، حتى إذا بلغت حدا معينا في شروط ملائمة إنتقلت إلى حالة نوعية جديدة وحدثت الثورات والقفزات الحضارية المختلفة، غير أن هذا يحدث مباشرة في المجال الاجتماعي، ويتأخر كثيرا و قليلا –حسب الظروف- في مجال الفكر. إن معطيات الماضي لا تفقد فورا كل ملامحها عند الانتقال. والصيرورة الجدلية التي تنتظمها لا تنقطع بشكل مفاجئ، إنها مستمرة ومتلاحقة أبدا دون توقف. وإذا كان التغير في مستوى الفكر أقل وضوحا منه في المستوى الاجتماعي فذلك عائد إلى طبيعة عمل الفكر لا إلى الاختلاف في الصيرورة فليس الفكر في الواقع إلا تعبيرا عن النشاط الاجتماعي في حركته التاريخية.

وهذا يمكن لنا أن نقول أنه برغم القطع الاستعماري في تطور مجتمعنا وبرغم دخولنا في المرحلة الكولونيالية، التي قامت أساسا على رسملة البنى الاقتصادية عندنا ثم سدت في وجهها أفق التطور الرأسمالي، ورغم خلخلة البنى الاجتماعية والفكرية عندنا فإن التراث، الذي هو حصيلة الماضي، ما زال مستمر الوجود في حياتنا بسبب تكيف البنى الاقطاعية والثيوقراطية مع عملية الرسملة تلك ومع كل شروط المرحلة الكولونيالية بوجه عام.

الاغتراب في التراث .. والاغتراب في المعاصرة :

إذن أين يقع التراث منا الآن ؟ وأين نقع نحن من العصر ؟ وماذا يمكن أن يكون فعل ذلك في أدبنا المعاصر ؟ وفي الشعر خاصة ؟؟

إن الأثر الأدبي رؤية للعصر من زاوية ما، إنه بالتالي موقف وجزء من سلوك تسلكه شخصية إنسانية ذات تكوين فكري معين، لم ينشأ تلقائيا ولا مصادفة. بل يرتبط ارتباطا كليا بمجمل الصراعات الدائرة في أعماق حركة المجتمع ... ولعله يجدر لنا أن نتبين طبيعة الصراع وأطرافه في العصر الراهن لنستطيع أن نحدد شرط المعاصرة وملامحها ولنتعرف على ضوء ذلك على حقيقة الوضع المتبادل بيننا وبين التراث. لقد قاد التطور التاريخي في أوربا إلى ذلك النمط من الإنتاج الضخم المتمركز، الذي قاد بدوره إلى نشوء رأس المال الاحتكار، ورافق ذلك ازدياد في حجم المعرفة الإنسانية وتسارع في نموها دون أن يرافقه – ولا أن يكون بالإمكان- التوسع الكافي في تعميمها على قطاعات المجتمع البشري المختلفة.

وقد رافق كل ذلك أشكال جديدة من الاستعباد أضيفت إلى أشكال العبودية الأولى التي رافقت أنماطا أخرى من الإنتاج. ولكن ما هو مهم في الأشكال الجديدة للعبودية وفي نمط الإنتاج الجديد إنما هو عالمية التأثير وعموميته، وشموله كل جزئيات الحياة الإنسانية ودقائقها. إن الآثار الجديدة تتغلغل حادة وعنيفة على اللقمة التي يتناولها الفرد، وعلى العاطفة التي يحس بها، وعلى الفكرة التي يعتنقها. دون أن يعفى من ذلك أحد على وجه الكرة الأرضية .. إنه القسر والاستلاب

الامبريالي الذي يتعين على الجميع أن يواجهوه، بأشكال مختلفة تبعا للشروط الموضوعية المحيطة بكل منهم.

وبعد أن كان الاستلاب في المرحلة الرأسمالية موجها ضد قطاعات محددة في مجتمعات محددة، أصبح الآن، في المرحلة الامبريالية، موجها ضد البشرية كلها وخاصة ضد شعوب العالم الثالث / أو بالتعبير الدقيق : البدان ذات نمط الإنتاج الكولونيالي / وهي غالبا ذات إنتاج أحادي ومتخلف، وتتهار باستمرار حدود التبادل بينها وبين الدول الرأسمالية لصالح الأخيرة [5] وطبيعة الإنتاج والتوزيع وحصر المعارف التقنية وغيرها من المظاهر الأخرى للعصر الامبريالي أوجدت ودعمت طبقات وفئات داخل المجتمعات المتخلفة، تتعيش على هامش نظام الإنتاج الامبريالي، وتساهم –كحليف للامبريالية– في تسهيل السيطرة على شعوبها واستنزافها.

لقد كان من أهم نتائج الاستعمار العسكري المباشر، الذي سبق هذه المرحلة الكولنيالية، انقطاع التطور الذاتي وخلق بنى إنتاجية رأسمالية تابعة، غير قادرة على التطور الحر، وبالتالي خلق بنى طبقية جديدة وأشكال من الدول التابعة، مهيأة لتكون باستمرار مدينة وتابعة لرأس المال العالمي. ولتكون البنية المكملة لعملية الاستغلال الامبريالي وتطورها وازديادها. وهكذا فإن عبء الاستلاب يقع في النهاية على كامل طبقات الكادحين وفئاتهم في الدول المتخلفة أولا وفي داخل الحصون الامبريالية، بشكل ما، ثانيا. وهؤلاء بالذات هم الذين يمارسون مواجهتهم الدموية للامبرياليين–بمعونة

---

[5] راجع بيير جاله، نهب العالم الثالث – منشورات وزارة الثقافة بدمشق.

الدول الاشتراكية- من أجل هم العالم القديم الظالم، وبناء العالم الجديد الخير العادل، والإنساني قبل كل شيء.

إن وطننا العربي يدخل في إطار التبعية الكولونيالية، ويتميز ببعض الخصائص التي تجعل مواجهته مع الامبريالية وحلفائها أكثر دموية، وأكثر عنفا وحدة.

إنه يعاني من شكل جديد من الاستعمار يتمثل في الظاهرة الصهيونية التي هي التجسيد العياني للاستعمار القديم-الجديد، المركب : الاستيلاء على الأرض، وإبادة السكان أو تشريدهم، والاستمرار في التوسع، والسمسرة الدولية لصالح الامبرياليين،، والتخريب المستمر في الدول المتخلفة والاشتراكية على السواء.

كما يعاني في سياق المواجهة السابقة من ظاهرة يعمل الامبرياليون بشكل مستمر على تكريسها لتسهل استغلالهم له، إنها ظاهرة التجزئة القومية التي تبعثر قواه، وتشتت إمكانياته، مما يجعل الوحدة القومية هدفا نضاليا حاسما في إطار الصراع لإنهاء التخلف والتبعية الكولونيالية ومجابهة الصهيونية.

ويترتب على التجزئة ظاهرات أخرى تخلق مشكلات كبرى لبعض الأقطار العربية وتعيق نموها كظاهرة التضخم السكاني في مصر، وقلة السكان إلى درجة الخواء في كثير من الأقطار الأخرى، ولا يمكن إيجاد حلول ناجعة لهذه الظواهر إلا في ظل دولة الوحدة الاشتراكية.

وتمارس أجهزة الإعلام المعادية تشويها فكريا وثقافيا، بغية تكريس الشخصية المزوزة الاستسلامية غير المبالية، وغير القادرة على الانعتاق والتحرر.

إن قضية الثورة العربية، باختصار، تشكل جزءا حاسما ومهما من الأزمة الحضارية الإنسانية لعصر انهيار الامبريالية. وكل تأخير في انتصار الثورة العربية هو تأخير لبناء العالم الجديد الحر العادل الاشتراكي. والصراع في هذا الجزء من العالم إنما تقوم به من الجانب الثوري طبقة العمال وطبقة الفلاحين وجماهير البرجوازية الصغيرة وفئة المثقفين الثوريين. وينبغي النظر إلى هذه الطبقات في حركة تناقضاتها الثانوية وضمن إطار نمط الإنتاج الكولنيالي حيث تكتسب كل منها خصائصها التاريخية في ظل علاقات الإنتاج الخاصة بهذا النمط، لتتحدد عبر ذلك حركية الصراع ضد الامبريالية ومراحله ... إلخ.

وهذه الحقيقة ليست نتاج عملية فرز فكرية مجردة، تعتبر معرفتها والأخذ بها مسألة ذاتية، وإنما هي واقع إجتماعي، هو في المحصلة الأخيرة قوام الحياة العربية المعاصرة، بحيث يصبح الاختيار فيه مصيريا وحاسما. فالفرد ليس مجرد متلق فقط لهذه الحقيقة الموضوعية. إن بينه وبينها علاقة حيوية تتمثل في ضرورة الفعل من جانبه أيضا، ولعل أهم ما يعانيه الفرد المثقف الثوري خلال ذلك هو إحساسه بالاغتراب الدائم في مجمل هذا الواقع الذي يعيش فيه. فكيف يمكن أن يكون هذا الإحساس وما عوامله ؟

إن آثار الإطار الحضاري العام للعصر ونتائجه، تفرض على الفرد/من غير البرجوازية الكولونيالية وأتباعها / أن يعيش مسحوقا مستلبا ماديا ومعنويا.

إن حدود الاستلاب المادي واضحة في طبيعة علاقات التبادل بين البلدان المتخلفة، والبلدان الرأسمالية، ذلك التبادل المرتبط أساسا بحاجة البلدان الأخيرة وأرباحها ومطامعها واستمرار نموها

وهيمنتها. ويترك هذا بالطبع، أشد الآثار على حياة الأفراد والطبقات –غير البوجوازية– في البلدان المتخلفة إذ نجد أن إمكانياتهم " النقدية " تتدهور باستمرار على سلم الوفاء بحاجات الحياة ومتطلباتها.

أما حدود الاستلاب المعنوي فهي أن الفرد يجد نفسه بعيدا عن المشاركة الفعالة في الإنتاج الراقي المتفوق وبالتالي في صنع الحضارة.

إنه يحس بهامشيته، أو على الأصح بقصوره وتبعيته لأولئك المنتجين المهرة في بلدان أخرى. إنه يصبح " سجين عقدة النقص الحضارية " هذه. وهي عقدة نجدها واضحة جدا لدى الشعوب المغلوبة عسكريا كشعبنا. وهذه العقدة تدفع المرء إلى البحث عما يمكن أن يكون تعويضا أو بالأحرى حلا. وهو في هذا البحث يمر في حال من الفوضى أقرب إلى أن تكون ضياعا. فما دام يعيش على هامش المرحلة الحضارية الراهنة فهو لم يبدع قيمه الخاصة المنسجمة مع العصر، ولذلك يعمد إما إلى أن يعيشه بأسلوب مزور، جاعلا من " تقليعات " المتقدمين مثلا أعلى له. وإما أن يرتد إلى الماضي باحثا عما يمكن أن يشبع حاجته النفسية المتولدة عن تلك العقدة، ويرضي طموحها.

وهو في الحالة الأولى يرفض التراث رفضا طفوليا مغتربا في تقليعات " الآخرين " التي تصبح سجنا له وعلامة على ارتضاء التبعية الكاملة لهم. وهو في الحالة الثانية يصبح أسير الماضي لا يسمع إلا صوته الخاص ويتقوقع في داخله مبتعدا عن عصره، معتبرا أي تقدم ردة وانحرافا عن الماضي المقدس الذي لا يجوز لأحد أن يلامسه بأكثر من الاستسلام له.

ولكن المرء لا يستطيع أن يستمر، بشكل مطلق، لا في سجنه الأول ولا في استسلامه الثاني. إن الحياة في ظل نظام الإنتاج الكولنيالي تطرح عليه قضايا متجددة في كل حين. وهو مرغم بحكم طبيعة العصر واندفاعه أن يكتشف نقص الوسيلتين وبؤسهما معا. وهذا الاكتشاف سيقوده إلى البحث عن حل ثالث ... وما دام قد عرف طبيعة اغترابه فعليه أن يلغي أسباب ذاك الاغتراب كي ينتصر على وضعه. وهنا حالة اغتراب ثالثة وأساسية :

إن عليه أن يبني مع مجتمعه القاعدة الإنتاجية العصرية ليستطيع أن يجابه الاستلاب الواقع عليه. ولكن هذه العملية مرتبطة بأمور كثيرة أساسها وجود قوة الفعل في يد الطبقات المستغلة الداخلة في حلف مع الامبريالية كتابع، ضمن إطار البنية الكولونيالية التي يتحدد وجودها واستمرارها بوجود البنية الرأسمالية الامبريالية واستمرارها، كما يتحدد وجود هذه واستمرارها بوجود تلك واستمرارها أيضا. والإحساس بالعجز عن امتلاك قوة الفعل المذكورة يصبح مصدرا للشعور بالاغتراب في النظام السياسي القائم، اغترابا لا ينتهي إلا بكسر طوق نمط الإنتاج الكولونيالي والانطلاق إلى نظام إنتاج جديد هو بالضرورة اشتراكي [6] إن الفرد العربي مغترب —أساسا— في نظم التجزئة التي تشكل إزالتها محور التحدي الأساسي لبناء قاعدة الإنتاج العصري المتحرر من التبعية.

وثمة حالة اغتراب أخرى، وهي إن كانت أسهل كشفا، إلا أنها أساس في سلوك الفرد وفي استجاباته، إنها اغترابه في العقلية الاجتماعية، فهذه العقلية قد تراكبت من (آراء ومفاهيم وقيم لمراحل

---

[6] راجع مهدي عامل في : مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الإشتراكي على حركة التحرر الوطني، الكتاب الثاني : في نمط الإنتاج الكولنيالي.

تطور تاريخية، زالت وزالت معها البنى الاجتماعية التي أعطتها معناها) : [7] وهي ما تزال مستمرة على تناقضها مع المرحلة التاريخية الراهنة. إن الجماعة ما تزال مشدودة إلى الخلف، تبعا لذلك، وهي تجعل من مفاهيمها العتيقة هذه شيئا مقدسا، تكاد لا تسمح بالمساس به. فإذا أراد الفرد كسب معركته الحضارية كان عليه أن يكون بالضرورة عامل دفع إلى أمام، عامل تقدم بحيث سيكون حتما على تناقض مع تلك العقلية.

ولما كانت الجماعة / وهي في بلدان النمط الكولونيالي ليست واضحة التمايز، طبقيا / تملك ثقلا لا يملكه الفرد، فإنه سيحس بالاغتراب تجاه عقليتها التي لا تستطيع أن تتقبل، بسهولة، أفكاره ومفاهيمه، وتهيء له المناخ لتنميتها. وقد يذوب الفرد متراجعا، وقد يحاول إزاء ذلك أن يؤكد على شخصيته ودوره وأفكاره. فإذا كان يفتقد الرباط الإيديولوجي العلمي بالمستقبل، لجأ إلى أسلوب شاذ وفوضوي للتعبير عنها.

فالضياع الذي يعانيه العربي المعاصر إذن، يختلف عن ذلك الضياع الذي يعانيه الغربي المتخم بقيم عصر الآلة وقيم حضارة قمعية لا إنسانية، اختلافا جذريا.

وإذا أردنا تلخيصا معبرا، لأزمة الإنسان العربي الراهنة —ولأزمة الإنسان بشكل عام– قلنا إن صراعه صراع من أجل الحرية في تعينها التاريخي الراهن. إن البحث عن الحرية المبدعة هي جوهر أزمة وجودنا في العصر الحاضر، فما هي مساهمة التراث الممكنة في حل هذه المسألة ؟

---

[7] أنطونيو غرامشي : قضايا المادية التاريخية، – منشورات دار الطليعة – بيروت.

نحن في الواقع أمام خطين رئيسيين في التراب خط الثبات وخط التحول أو الإبداع – على حد تعبير أدونيس في كتابه : الثابت والمتحول أو لنقل : نحن أمام منطلقين أساسيين في فكر التراث. الأول يعتبر الإنسان مسيرا لا اختيار له، والثاني يعتبره مخيرا، وبالتالي مسؤولا.

وقد كتبت الغلبة التاريخية للتيار الأول، لأنه التيار الذي ينسجم مع مصالح التركيبة الطبقية التي سادت خلال العصور السابقة. وقد جهد أصحاب هذا المنطلق في تكبيل الإنسان وحصاره وشل طاقات الابداع عنده. وهكذا اعتبر دائما أن كل شيء قد قيل. وأن ما رسم وأنجز يتمتع بعصمة ميتافيزيقية لا يجوز خرقها، واكتسب الأولون، مهما كانت صفاتهم، وضع القداسة بحيث أصبح وضعهم، ووضع انجازاتهم على محك النقد أمرا شبه مستحيل. ويتطلب كل شيء تحديث بنية الوعي والثقافة وبالتالي تحديث البنية الاجتماعية وعقلنتها وهي مسألة تقودنا مباشرة إلى الصراع من أجل تغيير موقعنا الراهن في عصرنا ... إلى الصراع من أجل الحرية.

ولقد أوضحنا في هذا الفصل، أن علاقتنا بالتراث يجب أن تكون إعادة امتلاكه على أساس من أدواتنا المعرفية العلمية المعاصرة، وهذا يعيننا، فقط، على معرفة كيفية تكامل شخصيتنا التاريخية في الماضي والحاضر والمستقبل، في صراعنا الراهن مع كل القوى النقيضة لتقدمنا. وفي ضوء هذا الامتلاك نستطيع أن نقرر أي تراث نرفض ؟!

وفي الشعر باعتباره إحدى وسائل التعبير عن القيم الجمالية لعصر البحث عن الحرية من العبث التمسك بمنهج القصيدة القديمة وقيمها الجمالية، والمفاهيم النقدية التي تعالج في ضوئها.

ولقد كان الارتداد المستمر إلى منهج تلك القصيدة عبر مختلف المراحل التاريخية السالفة مظهرا من مظاهر الجبرية المسيطرة على الفكر العربي في ظل سيادة الارستقراطية الإقطاعية — الثيوقراطية.

وبالمقابل فإنه من غير الصحيح التمسك بالأشكال التي أنجزها الشعر الحديث -الذي هو بدوره إحدى إبداعات البرجوازية الصغيرة في المرحلة الكولنيالية، باعتبارها الطبقة المحورية فيها- على أنها الأشكال الوحيدة للمستقبل، ذلك أن منتجي الفكر في المستقبل هم الذين سيقررون أشكالهم الشعرية الملائمة على ضوء حاجاتهم الحيوية والجمالية.

غير أننا، الآن، أمام خيارين لا ثالث لهما : الشعر الحديث أو القصيدة القديمة، ونحن ملزمون تاريخيا، في الشروط الراهنة، باختيار الأول الذي قد يتم تجاوزه على يد شعراء الثورة العربية، ومثقفيها العضويين، في مرحلة قادمة.

ويعتبر التركيز على تأسيس نقد موضوعي حول حركة الشعر الحديث من أهم القضايا الأدبية التي تواجه المثقف العربي الملتزم بالايدولوجيا العلمية، وباختياره المستقبلي، ويعتبر تطوير هذا الشعر عبر تجريبيه مرتبطة بتلك الايديولوجيا، ومحددة بالحاجة الحيوية والجمالية للمرحلة الراهنة أهم واجبات شعراء هذه الحركة الجديدة.

إن إعادة امتلاك التراث تتطلب تجاوزه، كما تتطلب المعاصرة قدرة مستمرة على التعبير عن طموحات العربي في عصر شديد التقلب، كثير التحول، وسرعان ما تتحول فيه الظاهرات إلى نقائضها نتيجة التغير في بعض حدودها الموضوعية، بفعل الديناميكية الهائلة للحياة الإنسانية المعاصرة.

ولقد كان الارتداد المستمر إلى منهج تلك القصيدة عبر مختلف المراحل التاريخية السالفة مظهرا من مظاهر الجبرية المسيطرة على الفكر العربي في ظل سيادة الارستقراطية الإقطاعية – الثيوقراطية.

وبالمقابل فإنه من غير الصحيح التمسك بالأشكال التي أنجزها الشعر الحديث –الذي هو بدوره إحدى إبداعات البرجوازية الصغيرة في المرحلة الكولنيالية، باعتبارها الطبقة المحورية فيها– على أنها الأشكال الوحيدة للمستقبل. ذلك أن منتجي الفكر في المستقبل هم الذين سيقررون أشكالهم الشعرية الملائمة على ضوء حاجاتهم الحيوية والجمالية.

غير أننا، الآن، أمام خيارين لا ثالث لهما : الشعر الحديث أو القصيدة القديمة، ونحن ملزمون تاريخيا، في الشروط الراهنة، باختيار الأول الذي قد يتم تجاوزه على يد شعراء الثورة العربية، ومثقفيها العضويين، في مرحلة قادمة.

ويعتبر التركيز على تأسيس نقد موضوعي حول حركة الشعر الحديث من أهم القضايا الأدبية التي تواجه المثقف العربي الملتزم بالايدولوجيا العلمية، وباختياره المستقبلي، ويعتبر تطوير هذا الشعر عبر تجريبية مرتبطة بتلك الايدولوجيا، ومحددة بالحاجة الحيوية والجمالية للمرحلة الراهنة أهم واجبات شعراء هذه الحركة الجديدة.

إن إعادة امتلاك التراث تتطلب تجاوزه، كما تتطلب المعاصرة قدرة مستمرة على التعبير عن طموحات العربي في عصر شديد التقلب، كثير التحول، وسرعان ما تتحول فيه الظاهرات إلى نقائضها نتيجة التغير في بعض حدودها الموضوعية، بفعل الديناميكية الهائلة للحياة الانسانية المعاصرة.